

وينبغي التنبه إلى أنه ليس هناك فاصل حاسم يوقف الالتقاء والتأثير المتبادل بين الفصحى واللهجات ، بأن يظهر في الفصحى أحيانا بعض خصائص اللهجات ، وأن تقييد اللهجات من الفصحى معاني وصيغا وتراكيب ، لكن على الرغم من ذلك فإنه يبقى اعتبار كل منهما مستوى خاصا ينبغي دراسته على انفراد .

الثاني : اعتبار الفصحى هي اللهجات نفسها ، وبهذا الاعتبار تتمثل الفصحى قديما مثلا في لغة قيس وتميم وأسد وهذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ، فنطلق هذه القبائل — على اتساع بيناتها وتباين منازلها ، وامتداد الزمن بها — يعتبر وحدة واحدة تدرس جميعا لاستنباط القواعد منها .

ويلخص هذين الاعتبارين عبارة واحدة هي « التكلم بالفصحى متأثرة باللهجات القبائل أو اعتبار الفصحى هي نفس اللهجة ، ، فأى هذين الاعتبارين أخذ به النحاة !!

من الإنصاف أن يعرف أولا أنه قد ورد عن علمائنا الأقدمين عرضا في التعليق على بعض الروايات ما يفهم منه الاعتبار الأول ، لكن ذلك لا يكون منهجا عاما طبقوه والتزموه ، وإليك هذه النماذج الثلاثة :

• وروى ابن سلام : قال المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وقد بقي بقاء طويلا حتى قال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وازددت من عدد السنين مئينا
مائة أتت من بعدها مائتان لي وازددت من عدد الشهور سنينا
هل ما بقا إلا كما قد فاتنا يوم يكر ، وليسلة تحمدونا